ISSN:2536-9245

التنوع المنهجي للخطاب البلاغي العربي

(دراسة تحليلية لجهود الجاحظ وعبد القاهر والسكاكي)

أ./ مريم محمد خادم الشامسي*

أ.د/ محمد عدناني**

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة الخطاب البلاغي العربي من خلال أنواع المناهج التي قامت بوصف الظاهرة البلاغية وتأصيلها، بما تتجاوز به الظاهرة النحوية أو اللغوية العامة؛ أي دراسة منهج البلاغيين في الكشف عن جوهر الظاهرة البلاغية، عبر الوقوف على ثلاثة أنواع من الخطاب البلاغي القديم، تشكل في أفكارها ونظرياتها التحليلية المحطات البلاغية الأهم والأبرز في تشكيل منهج البحث البلاغي القديم؛ وهي: خطاب البيان عند الجاحظ ومنهجه الانطباعي، وخطاب النظم عند عبد القاهر الجرجاني ومنهجه التحليلي الوصفي، وخطاب تقعيد البلاغة عند السكاكي، ومنهجه العلمي التعليمي.

هدفت الدراسة بناء على ما سبق إلى الوقوف على طرق التنوع المنهجي في دراسة الظواهر البلاغية في ضوء جهود الجاحظ وعبد القاهر والسكاكي البلاغية.

خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها: أن أنماط الخطاب البلاغي التي تمثل محاور البلاغة العربية، هي: خطاب البيان وقد احتكم إلى المنهج الانطباعي في التنظير للظاهرة البلاغية، وخطاب النظم الذي اتخذ الجانب الوصفي التحليلي منهجا لملاحظة بلاغة التراكيب في الظاهرة البلاغية، والخطاب الثالث هو خطاب علم البلاغة للسكاكي، الذي اعتمد على المنهج التقعيدي وآليات التصنيف والضبط، وأن الخطابات الثلاثة اتفقت على أن جوهر الظاهرة البلاغية في مطابقتها للسياق وقرائن الأحوال.

* باحثة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها -جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

** مستشار مدير جامعة محمد بن زايد للعلوم الانسانية

وانتهت الدراسة بعدد من التوصيات منها: ضرورة تواصل العمل على الكشف عن جوانب المناهج البلاغية في تأصيل الظاهرة البلاغية وتفسير أبعادها، والاهتمام بأوائل النصوص البلاغية القديمة وربطها بالنصوص المتأخرة، ففي هذا الربط فائدة كبيرة في معرفة مراحل مناهج الخطاب البلاغي العربي القديم.

الكلمات المفتاحية:

التنوع المنهجي، المنهج البلاغي، الخطاب البلاغي، النظم، الظاهرة البلاغية، الجاحظ، عبد القاهر الجرجاني، السكاكي.

ISSN:2536-9245

The Systematic Diversity of the Arabic Rhetorical Discourse

(An analytical study of the efforts of Al-Jahiz, Abdel-Qaher and Al-Sakaki)

Abstract

The current study investigated the Arabic rhetorical discourse through the types of approaches that went further beyond the general grammatical or linguistic phenomenon to describe and root the rhetorical phenomenon. Thus, this research studied the approach applied by the rhetoricians in revealing the essence of the rhetorical phenomenon by sticking to three types of ancient rhetorical discourse which constitute in its ideas and analytical theories the most significant and prominent rhetorical phases that shape the ancient rhetorical research methodology; namely: Al-Jahiz's discourse of statement and his impressionistic approach, Abdul-Qaher al-Jurjani's rhetoric of versification and his descriptive analytical approach, Al-Sakaki's grammaticalization of rhetoric, and his scientific educational approach.

Based on what is mentioned above, this paper aimed to identify the methods of methodological diversity in the study of rhetorical phenomena in the light of the rhetorical efforts of Al-Jahiz, Abdel-Qaher and Al-Sakaki.

The study concluded with many results, the most important of which are: the patterns of rhetorical discourse that represent the axes of Arabic rhetoric are, the rhetorical discourse which employed the

impressionistic approach in theorizing the rhetorical phenomenon, the rhetoric of versification which adopted the descriptive and analytical aspect as an approach to observing the rhetoric of the structures in the rhetorical phenomenon, and the third discourse is Al-Sakaki's discourse of rhetoric which relied on the grammaticalization approach and the mechanisms of classification and setting rules. The study found out that the three discourses agreed on the essence of the rhetorical phenomenon in its conformity with the context and evidence of situations.

The study ended with a number of recommendations including the need to continue on investigating the aspects of the rhetorical approaches in rooting the rhetorical phenomenon and explaining its dimensions, and paying attention to the early ancient rhetorical texts and connecting them to the later ones. This linking has a great benefit in knowing the stages of the ancient Arabic rhetorical approaches.

Keywords:

diversity of approach, rhetorical approach, rhetorical discourse, systems, rhetorical phenomenon, al-Jahiz, Abdul-Qaher al-Jurjani, al-Sakaki.

ISSN:2536-9245

مقدمـــة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

فالحديث عن البلاغة يقود إلى تناول المنهج الذي اتبعه البلاغيون القدماء في بحثهم حول جوهر الظاهرة البلاغية، ووصفها وتحليلها، وهذا يدعو إلى أن تنبني هذه الدراسة على تناول الخطاب البلاغي العربي من خلال أنواع المنهجيات التي قامت بوصف الظاهرة البلاغية وتأصيلها، بما تتجاوز بها الظاهرة النحوية أو اللغوية العامة؛ أي دراسة منهج البلاغيين في الكشف عن جوهر الظاهرة البلاغية، من خلال ثلاثة أنواع من الخطاب البلاغي القديم، تشكل في أفكارها وتنظيرتها المحطات البلاغية الأهم والأبرز في تشكيل منهج البحث البلاغي القديم؛ وهي: خطاب البيان عند الجاحظ – خطاب نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني – خطاب تقعيد البلاغة عند السكاكي.

وبناء على ذلك كان عنوان الدراسة هو (التنوع المنهجي للخطاب البلاغي العربي (دراسة تحليلية لجهود الجاحظ وعبد القاهر والسكاكي).

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية الدراسة وفق العنوان السابق في الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي: (ماهية تنوع المرجعيات والتصورات في الخطاب البلاغي القديم، وما مدى أثر هذا التنوع في التفكير البلاغي العربي؟).

تساؤلات الدراسة:

ويندرج تحت السؤال الرئيسي السابق العديد من الأسئلة الفرعية، وذلك على النحو الآتي:

١-ما المقصود بالتنوع المنهجي، وما أثره في تطور العلوم؟

٢-ما مفهوم البيان عند الجاحظ، وأهم عناصره؟

٣-ما خطوات المنهج الانطباعي في دراسة الظاهرة البلاغية عند الجاحظ؟

٤-ما مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني؟

٥-ما خطوات المنهج التحليلي في دراسة الظاهرة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني؟

٦-ما أثر المنهج التقعيدي عند السكاكي في دراسة الظاهرة البلاغية؟

ISSN:2536-9245

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

ثمة أسباب تدفعني إلى اختيار هذا الموضوع من أهمها:

-إثراء المكتبة البلاغية بالدراسات المستحدثة التي تشتمل على مفاهيم جديدة.

-مدى ما تمثله أفكار الجاحظ وعبد القاهر والسكاكي من علامات فارقة في تأصيل الخطاب البلاغي العربي.

-تعلُّق الموضوع بالتراث البلاغي؛ كونه من أبرز العلوم التي تتعلق بالكشف عن إعجاز القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

-التعرف على تنوع مناهج البحث البلاغي في دراسة الظاهرة البلاغية.

- تسليط الضوء على الآليات التحليلية للمناهج البلاغية في وصف الظاهرة البلاغية.

-تحديد خطوات المناهج التحليلية لدراسة الظاهرة البلاغية عند العلماء الثلاثة.

-بيان عناصر الاتفاق والاختلاف بين مناهج العلماء الثلاثة في دراسة الظاهرة البلاغية.

- تحديد جوهر الظاهرة البلاغية وفق المناهج الانطباعي والتحليلي والتقعيدي في الخطاب البلاغي العربي.

أهداف الدراسة:

تتطلع هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

-الوقوف على طرق التنوع المنهجي في دراسة الظاهرة البلاغية في الخطاب البلاغي العربي القديم.

-التمييز بين مناهج دراسة الظاهرة البلاغية عند العلماء الثلاثة؛ لما لأفكارهم من أثر بالغ في تأسيس الخطاب البلاغي العربي.

-التعرف على اختلاف مفهوم البلاغة عند العلماء الثلاثة، وأثر ذلك الاخالتف في تنوع مناهجهم.

-بيان الفروق المنهجية والتحليلية بين المناهج الثلاثة (الانطباعي- التحليلي- التقعيدي).

منهج الدراسة:

إن طبيعة الموضوع تقتضي بالضرورة اتباع منهج من شأنه أن يفي بجوانب هذا البحث. وقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي التحليلي، الذي عمدت من خلاله إلى عرض أهم المفاهيم المتعلقة بالبلاغة العربية القديمة، والبحث في المناهج التي اتبعها البلاغيون القدامى (الجاحظ- عبد القاهر- السكاكي) في دراستهم للظاهرة البلاغية تنظيرًا وتطبيقًا، وذلك بمساعدة الاستقراء والتتبع لمناهج العلماء الثلاثة في تأسيس مفاهيم البلاغة العربية، وكذا القراءة الموضوعية للمبادئ النظرية العامة والإجراءات التحليلية التي اعتمدها العلماء الثلاثة في دراستهم للظواهر البلاغية.

الدراسات السابقة:

يمكن عرض ما وقفت عليه الباحثة من تلك الجهود والدراسات السابقة في الموضوع المطروح على النحو الآتي:

الدراسة الأولى: عويض بن حمد العطوي (٢٠٠٤م)، منهجية التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبد القاهر وكل من السكاكي والخطيب القزويني، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المجلد ١٦- العدد ٣٠.

حاول البحث الإجابة عن إشكالية رئيسية تمثلت في كيفية دراسة هؤلاء العلماء للشواهد البلاغية، بما يكشف عن جوانب جوهر الظاهرة البلاغية؟ ومن هنا فقد تحدد هدف الباحث في البحث عن الإجراءات التحليلية التي اعتمدوها في تحليلهم للشواهد البلاغية.

وقد انتهى الباحث إلى أن التعامل مع الشاهد البلاغي عند هؤلاء البلاغيين اعتمد على تأصيل منهجي يدرس امتداد هذا الشاهد البلاغي عبر مراحل تاريخ التفكير البلاغي الذي يمتد إلى القرن السابع الهجري، وذلك بوصف هذا الشاهد على اختلافه يمثل لظواهر بلاغية متنوعة.

الدراسة الثانية: عماد محمد محمود البخيتاوي (٢٠١٣م) بعنوان: مناهج البحث البلاغي عند العرب دراسة في الأسس المعرفية. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

وهو دراسة نشرت في كتاب مطبوع تشرح أسس ومناهج البحث البلاغي عند العرب، وتناول المنهج التجميعي التفسيري الذي يهتم بتجميع الفنون البلاغية مع ذكر شواهدها من القرآن والشعر، والمنهج الانطباعي الذي يقصد به التوظيف النقدي للفنون البلاغية في تحليل الشعر والنثر، والمنهج التحليلي وارتباطه بقضية إعجاز القرآن، والمنهج التقعيدي المنطقي الذي تميز بالضبط والتصنيف والتحديد للظواهر البلاغية.

الدراسة الثالثة: محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي (٢٠١٤م) بعنوان: المنهج المتكامل في البلاغة والنقد بين القدماء والمحدثين "رؤية وتطبيق ". مجلة جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.

هذا البحث يتجه للكشف عن معنى المنهج المتكامل في البلاغة والنقد، ويعرض لجهود علماء البلاغة والنقد القدماء في وضع أصول وملامح هذا المنهج من خلال التتبع التاريخي لأبرز مؤلفاتهم التي أسهمت إسهاما واضحا في هذا الميدان، مع عرض نماذج تحليلية وتطبيقية من كتب البلاغيين القدماء، استعرض من خلالها ملامح المنهج المتكامل عندهم، ورؤيتهم لتحليل النص، مع التعقيب عليهم بما يكشف أصول هذا المنهج.

تعقيب على الدراسات السابقة:

بمراجعة الدراسات السالفة تبين أن منها من جعل موضوع دراسته هو عدُّ الشاهد البلاغي معبرا عن الظاهرة البلاغية، كدراسة عويض بن حمد العطوي، ومن ثم فقد اقتصرت نتائجها على دراسة منهجية البلاغيين في الاستشهاد على الظاهرة من القرآن الكريم أو الشعر. أما الدراسة الثالثة لمحمد الحمزاوي فقد اختار البحث في التكامل المنهجي بين البلاغة والنقد، ولذلك اتسم منهجه في العرض بالشمولية، ودراسة الخطاب البلاغي بوصفه خطابا معرفيا واحدا وشاملا، وليس مجموعة من الخطابات. أما الدراسة الأقرب إلى دراستنا من حيث الموضوع والمنهج فهي دراسة محمد محمود البخيتاوي، وإن كان قد التزم بالتتبع التاريخي، رابطا بينه وبين التتبع المعرفي.

أما دراستنا الحالية فقد آثرت التركيز على أهم محطات البلاغة العربية العربية التي تمثل مراحل الوصف والتحليل لجوهر الظاهرة البلاغية، دون رصد لعوامل تاريخية معرفية، أو ربط بين البلاغة والنقد، أو اختصار الظاهرة البلاغية في مفهوم الشاهد.

خطة الدراسة:

تشتمل خطة البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تعقبها خاتمة على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: تحديد مفاهيم الدراسة

أولا: مفهوم المنهج والتنوع المنهجي

ثانيا: مفهوم الخطاب البلاغي العربي

ثالثا: أهم مصنفات البلاغة العربية القديمة

المبحث الأول: منهج الخطاب البلاغي عند الجاحظ (نظرية البيان)

تمهيد: مفهوم البيان عند الجاحظ

المطلب الأول: المنهج الانطباعي في ضوء مفهوم البيان

المطلب الثاني: جوهر الظاهرة البلاغية في نظرية البيان

المبحث الثاني: منهج الخطاب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (نظرية النظم)

تمهيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر

المطلب الأول: المنهج التحليلي في ضوء مفهوم النظم

المطلب الثاني: جوهر الظاهرة البلاغية في نظرية النظم

المبحث الثالث: منهج الخطاب البلاغي عند السكاكي (علم البلاغة)

تمهيد: مفهوم علم البلاغة عند السكاكي

المطلب الأول: المنهج التقعيدي في ضوء علم البلاغة

المطلب الثاني: جوهر الظاهرة البلاغية في علوم البلاغة

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

ISSN:2536-9245

المبحث التمهيدي

تحديد مفاهيم الدراسة

أولا: مفهوم المنهج والتنوع المنهجي

تدل كلمة منهج في اللغة العربية على معنيَيْن؛ الأول يعني الطريق الواضح، والخطة المرسومة للسّير عليها، يُقال: نهجَ لي الأمر أيْ أوضحه، والثاني يعني الانقطاع وتواتر النّفَس من شدة الحركةِ أو فعل مُتعِب: يقال: أتى فلانٌ ينهجُ إذا أتى مبهورًا منقطع النفس. (١) ويبدو في رأيي أن مفردات (منهج- منهاج- نهج) تدل على المعنى نفسه، أي: الطريق الواضح الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر.

وأما في اصطلاح العلماء المُحدَثين، فقد عرف عبد الرحمن بدوي المنهج بأنه " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تُهَيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" (٢). والمقصود عموما هو أن المنهج يشير إلى القواعد والخطوات والقوانين المنظمة التي تحكم عمليات العقل خلال البحث والنظر في مجال معين.

كما أن علماء المسلمين على امتداد تاريخهم عُنوا عناية كبيرة بقضية المنهج، حتى صارت مناهجهم علومًا مستقلة في حدّ ذاتها؛ إذ إن ما عُرِف بعلم أصول الفقه وعلم الجرح والتعديل وعلوم القرآن وغيرها لم تكن إلا مناهج علمية أبدعها العلماء المسلمون لتحقيق الموضوعية والدراسة العلمية في نشاطهم العلمي، ناهيك عن المناهج العقلية التي طورها مفكرو الإسلام في مقدمتها منهج الاستنباط العقلي، ومنهج الاستقراء (٣).

وإذا ما تأملنا ما خلَّفَه البلاغيون من تراث لغوي وبلاغي نجدهم قد عرفوا مناهج متعددة وطبقوا قواعدها بصورة علمية، بحكم أغراضهم من التأليف، وبحكم اختلاف منطلقاتهم الفكرية والمذهبية أحيانًا. وبصفة عامة فقد اتسم العمل المنهجي قي التأليف لدى البلاغيين بما اتسمت به أغلب جهود العلماء المسلمين في مناهجهم، من جهة

---

(١) الفيروز آبادي، مجد بن يعقوب القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص١٦٥٦.

(٢) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٣، ١٩٧٧م، ص ٣.

(٣) النشار، علي سامي مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م، ص٣٤٨- ٣٤٩.

الدقة والضبط العلمي في النقل؛ حيث كان البحث العلمي عند العلماء المسلمين نشاطًا عقليًّا يتسم بالضبط والدقة العلمية، وخاصة فيما ينقلونه من معارف، أو يدرجونه من نصوص في كتاباتهم، حيث كانوا يشددون على ضرورة الأمانة والدقة في النقل.[١]

ثانيًا: مفهوم الخطاب البلاغي العربي

الخطاب البلاغي ليس نمطًا واحدًا على مدى تاريخ البلاغة، وإنما هو أنماط تتمايز فيما بينها بنقاط اختلاف وتعارض، مثل ما بينها من نقاط تماس وتواصل؛ لذلك فإن دراستها – منهجيًا – من خلال عرض نقاط الاختلاف والتمايز يهدف إلى التعرف على كل خطاب على حدة، من خلال معطياته الخاصة من جانب، ومن جانب ثانٍ يشتمل في اختلافه وتمايزه عما قبله أو بعده على درجات الاتصال والتواصل؛ حيث يكون الاحتكاك بين الخطابين السابق واللاحق هو في مدى الاختلاف والتمايز بينهما، بالقدر نفسه الذي يكون في مدى التواصل، تفسير ذلك أن الخطاب البلاغي عبر ستة قرون كان مطبقا لمنهجية النظريات العلمية، " ففي بعض الحالات تحل النظرية العلمية محل القديمة وتنسخها أو تلغيها، ولكن في معظم الحالات لا تكون النظرية الجديدة بديلًا يلغي القديمة، وإنما توسعها وتكشف عن أبعاد جديدة لم تستطع النظرية القديمة أن تفسرها أو تعمل لها حسابًا "[(٢)].

وعملية الكشف عن الخطاب البلاغي لا بد لها من المزاوجة بين أمرين؛ هما: التوصيف والتأريخ، الأول يعنى بالتحقق من المعرفة التي أنتجت في هذا الخطاب أو ذاك، فيتم توصيفها باعتبارها خطابًا بلاغيًا مستقلًا. والثاني يعنى بالسير تاريخيًا على مدى لحظات تاريخية متوالية يسلم بعضها بعضًا؛ كي لا يختلط تاريخ لحظة بأخرى؛ فلا يتمتع كل خطاب باستقلاليته الذاتية " إذ كلما امتدت الفترة تشعبت القضايا، وتداخلت الأسباب، واختلطت كليات العلم بجزيئاته؛ فتدق المقاييس التي تميز بها بين الفترات، وقد تحتجب"[(٣)].

---

(١) روزنتال، فرانز ، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٦١م، ص١٢١-١٢٢.

(٢) زكريا، فؤاد، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ١٩٧٨م، ص١٧.

(٣) صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨١م، ص ١٣.

ويمثل كل توصيف للخطاب البلاغي عملية كشف عن المحور العام، ومركز الجذب الذي تدور حوله نقاط الخطاب المتنوعة، فيمثل هذا المركز العنوان الرئيسي لكل خطاب فيسمى باسمه "وتحديد نقطة الارتكاز تلك أمر دقيق وصعب، لا يمكن أن يقوم على المواضعة المنهجية البسيطة، ومجرد الافتراض؛ لأنه ملتحم بتأويلنا لمسار العلم ذاته، وأول نتيجة وربما أهمها من قراءتنا للتراث المعلق به؛ لذلك وجب أن يقوم على مقاييس من مادة البحث، يعتقد الباحث أنها تخدم بصورة موضوعية اختياره، أو هي على الأقل تدعم اجتهاده وتنجو به عن الارتجال والاعتباطية"[١]. حيث أرى أن أنماط الخطاب البلاغي التي تمثل محاور البلاغة العربية، هي:

الأول: خطاب البيان.

الثاني: خطاب النظم.

الثالث: خطاب علم البلاغة.

ثالثا: أهم مصنفات البلاغة العربية القديمة

ذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه البلاغة تطور وتاريخ أبرز وأهم كتب البلاغة العربية، وكان تقسيمه لهذه المصنفات كما يلي:

١-مصنفات النشأة[٢]:

وتضمنت مؤلفات:

- الجاحظ: البيان والتبيين - الحيوان.
- أبو عبيدة المثني: مجاز القرآن.
- الفراء: معاني القرآن.
- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن.

٢- دراسات المنهجية [٣]:

---

[١] صمود، ، حمادي ، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، مرجع سابق، ص ١٤.
[٢] ضيف، شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، د ت، ص ٤٦-٦٠.
[٣] المرجع السابق، ص ٦٢-٧٥.

ISSN:2536-9245

وتضمنت مؤلفات:

- ابن المعتز: البديع.

- قدامة بن جعفر: نقد الشعر.

- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان.

- الباقلاني: إعجاز القرآن.

- الخطابي: إعجاز القرآن.

- الرماني: النكت في إعجاز القرآن.

٣-دراسات نقدية على أسس بلاغية [١]:

وتضمنت مؤلفات:

- الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

- القاضي عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه.

- ابن طباطبا: عيار الشعر

٤-دراسات لبعض المتأدبين [٢]:

وتضمنت مؤلفات:

- ابن رشيق: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده.

- أبو هلال العسكري: الصناعتين - الكتابة والشعر.

- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة.

- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

---

[١] ضيف ، شوقي ، السابق، ص١٠٢-١١٨.
[٢] المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٨.

ISSN:2536-9245

٥-ازدهار الدراسات البلاغية [١]:

وتضمن مؤلفات:

- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة - دلائل الإعجاز.

- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

٦-دراسات عصر التعقيد والجمود [٢]:

وتضمن مؤلفات:

- السكاكي: مفتاح العلوم.

- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة.

- كتاب شروح التلخيص، للمغربي والتفتازاني والدسوقي.

والذي نخرج به من هذا العرض أن الدراسات المنهجية التي شكلت الخطاب البلاغي عبر قرونه الستة تمثل نظريات علمية متداخلة، حيث " لا يؤدي ظهور النظرية الجديدة إلى إلغاء القديمة، بل يوسع نطاق تطبيقها ويمتد بها إلى مجالات لم تكن النظرية القديمة قادرة على استيعابها "[٣]. أضف إلى ذلك أن البلاغة تختلف عن الحقول المعرفية الأخرى في كونها نشاطًا عقليًا متأخرًا بالمقارنة مع غيرها من الحقول المعرفية التي تعاملت مع اللغة، فإن جميع ما سبق البلاغة من علوم قد تداخل بمفاهيمه ومنهجيته وفلسفته ومصطلحاته في صلب الخطاب البلاغي " فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار الكامل كون الدراسات البيانية البلاغية قد بدأت وقطعت أشواطًا أساسية وحاسمة خارج دائرة البلاغيين الضيقة "[٤]. وعلى قدر تداخل هذه العلوم في الخطاب البلاغي يتمايز كل خطاب عن سابقه ولاحقه، على الرغم من أن الخطاب البلاغي يشكل نمطًا

---

[١] ضيف ، شوقي ، السابق، ص ١٦٠-٢٧٠.
[٢] المرجع السابق، ص ٢٧١-٣٦٦.
[٣] زكريا، ، فؤاد السابق، ص٣٦.
[٤] الجابري، محمد عابد ، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة والثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٧م، ص١٤.

ISSN:2536-9245

واحدًا؛ لأنه يهدف هدفًا واحدًا هو إدراك الظاهرة اللغوية الحاملة للبعد البلاغي المميز لها عن أية ظاهرة لغوية أخرى.

المبحث الأول

منهج الخطاب البلاغي عند الجاحظ (نظرية البيان)

يعد الجاحظ مؤسسًا لخطاب البيان، وقد قام بتأسيسه قاصدًا به الإشارة إلى ثلاثة معانٍ، هي: "الفصاحة – البلاغة – المقام"، وهو عنده يمثل الأصل، بينما تمثل المعاني الأخرى فروعا. وقوام ذلك أن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم شامل وجامع لكل ما يبين – لغةً أو غيرها – فهو يعبر عن الوسائل والأدوات التي تكشف عن المعاني الخفية، ومما لا شك فيه أن وصف المعاني بالخفية يعزز من اتصاف ما يكشف عنها بصفة البيان.

مدخل: مفهوم البيان عند الجاحظ

تناول الجاحظ مفهوم البيان بوصفه دالًا على كل ما يبين سواء باللغة أم بغيرها؛ ولذلك كان تعريفه كما قدمه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير"[(١)]. فمهمة مفهوم البيان بشكلٍ عام هي الكشف والإظهار؛ حتى يتبين الشيء عن غيره، إن البيان هنا هو الكشف عن معنى الشيء؛ ليتبين ويتميز عن غيره؛ حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنسٍ كان الدليل"[(٢)]. فالدليل هو علامة البيان، من أي جنسٍ كان الدليل ومن أي وجهٍ كان البيان، وبذلك تتحقق حقيقة مفهوم البيان العام الذي ينطبق على كافة الأدلة وكافة وجوه البيان؛ لأن "مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع"[(٣)].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ١/ ٧٦.
(٢) المرجع السابق، ١/ ٧٦.
(٣) الجاحظ، السابق، ١/ ٧٦.

ISSN:2536-9245

وأرى أن المفهوم العام للبيان قد رسَّخ قاسمًا مشتركًا لشتى أنواع البيان وهو بلوغ الفهم والإفهام، وهذا القاسم المشترك كان مدعاةً للجاحظ أن يقسم دلائل البيان العام خمسة أقسام:- اللفظ – الإشارة – الخط – العقد – النصبة.

المطلب الأول

المنهج الانطباعي في ضوء مفهوم البيان

اعتمد خطاب الجاحظ القائم على مفهوم البيان على منهج انطباعي ذاتي، يستند إلى ترسيخ آليات حسية تعتمد على الرؤية والسماع في التعامل مع القول البليغ وإدراك أبعاده، فيعد ما هو بلاغي من القول ما تشاهده الحواس، مما يؤدي إلى انحصار البعد البلاغي للقول في هذه الجوانب الحسية؛ بما يجعله سهل التناول والوضوح، دون الرصد العقلي التأويلي، وما يستتبعه من غموض وإبهام [١].

ومن ثم لاحظت أن الأحكام الصادرة عن خطاب البيان تتلخص في وسم الكلام بأنه: حسن وأحسن، واضعةً في اعتبارها تميزه عمَّا هو قبيح وأقبح، وقد نتج عن هذا أن غاب عن خطاب البيان التبويب والتقسيم والترتيب المحدد لدرجات الحسن أو درجات القبح، وكذلك عدم تمييز بعض الوجوه البلاغية بعضها عن بعض؛ لأن الأهم كان هو حملها للبعد البلاغي المتمثل في الوصول لدرجة البيان والإبانة، دون اهتمام كبير بتعليل هذا البعد، أو تحديد وظيفته، هذا بالإضافة إلى أن أحكام خطاب البيان كانت شبه نهائية في جودة الجيد وقبح القبيح [٢].

وبناء على ذلك فإن منهج البيان الانطباعي لا يخرج عن ثلاث صور:

الصورة الأولى: مقاييس اللفظ :

وتشتمل هذه الصورة على مجموعة من الشروط النقدية والبلاغية، لعل من أبرزها:

---

(١) حريش ، نوال ، البيان والتبيين للجاحظ، مقاربة حمالية إبيستمولوجية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب واللغات بجامعة وهران بالجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٧٨.

(٢) يلخص ابن طباطبا الحلقية الحسية التي أقام عليها خطاب البيان قواعد المنهج الانطباعي، وذلك في قوله: " فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظومًا، مصفى من كدر العي، مقومًا من أود الخطأ واللحن، سالمًا من جور التأليف، موزونًا بميزان الصواب لفظًا ومعنى وتركيبًا اتسعت طرقه، ولطفت موالجه، فقبله الفهم وارتاح له، وأنس به. وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة، وكان باطلا محالًا مجهولًا، انسدت طرقه ونفاه واستوحش عند حسه به، وصدىء له، وتأذى به، كتأذي سائر الحواس بما يخالفها.. وعلة كل حسن مقبول الاعتدال، كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب. والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه، ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت. انظر: ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ط١. ١٩٨٢م، ص ٢٠.

ISSN:2536-9245

١-الإحاطة بالمعنى، فاللفظ كي يكون مبينًا، لا بد أن يسهل فهمه من خلال استعماله فيما عرف، بلا اشتراك أو إبهام، قال ابن طباطبا منظرًا لذلك على الشعر: " وأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها، حتى يطابق المعنى الذي أريدت له، ويكون شاهدها معها لا تحتاج إلى تفسير من غير ذاتها " (١).

٢-السلامة من التعقيد والتكلف، أي " يحيط الاسمُ بمعناك، ويجلِّي عن مَغزاك، وتُخْرِجَه عن الشِّرْكة، ولا تستعين عليه بالفِكرة، والذي لا بُدّ له منه، أن يكون سليمًا من التكلُّف، بعيدًا من الصّنعة، بريئًا من التعقُّد، غنِيًّا عن التأويل " (٢) .

٣-التوسط في استعمال الألفاظ، حيث يحتاجُ مِنَ اللفظ إلى " مقدارٍ يرتفع به عَنْ ألفاظ السِّفْلَةِ والحَشْو، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيّ الكلام"(٣)؛ لأن القاعدة التي توجَّه ذلك الأمر هي أن " الغريب لم يكثر في كلام إلا أفسده، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف" (٤). ومن الواضح هنا أن دخول اللفظ مرحلة البلاغة يعني تميزه بميزة حسية تعتمد على الذوف والانطباع، وهي البعد عن الاستكراه والسلامة من التكلف.

الصورة الثانية: مقاييس المعنى:

رصد الجاحظ ومن تبعه من البيانيين مجموعة من الشروط التي يجب مراعاتها في المعنى، وهي ما يلي:

١-سهولة الفهم، يعتمد هذا الشرط على مدى استجابة التعبير للعقل والمنطق، ثم الفهم والإفهام، "ليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا" (٥). ويفسر هذا الصواب بمطابقة المعنى للفهم والإفهام من جهة، أو مطابقته للواقع الخارجي ومقتضيات العقل والمنطق من جهةٍ أخرى (٦).

٢-الصدق والكذب، يعد الخيال من أكثر خصائص الشعر بروزًا واعتبارًا عند النقاد، وقد عالجه هؤلاء النقاد من خلال مقولة الصق والكذب، فهاهو القاضي

(١) السابق، ص١٣٢.
(٢) الجاحظ، السابق، ١/ ١١٣.
(٣) الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ج١- ص ٩٠.
(٤) العسكري، أبو هلال ، الصناعتين - الكتابة والشعر، دار الفكر العربي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د ت، ص ٩.
(٥) السابق، ص ٦٤.
(٦) صباغ، محمد علي ، البلاغة الشعرية كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص١٢٤.

الجرجاني يعلق على قول الشاعر، بالعودة إلى مقاييس الصدق والكذب في الشعر:

ورحبَ صدْرٍ لو أنّ الأرض واسعة ... كوسعه لم يضق عن أهله بلدُ

"وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلادَ إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساعَ صدره لم تضِق البلاد. ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعةِ الأرض وضيقها... فلو اتسعت الأرض حتى امتدّت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها" [١].

٣-الصحة والخطأ، أي يكون المعنى صحيحا من جهة اللغة والمنطق والواقع الخارجي، ويصنف ابن طباطبا درجات القبح التي إذا تجنبها الشاعر صار معنى كلامه مطابقا للواقع، وهي "المعاني المستبردة، والتشبيهات الكاذبة، والإشارات المجهولة، والأوصاف البعيدة، والعبارات الغثة".

وقد عاب الآمدي استعارات أبي تمام لأنه ابتعد بها عن المعنى والمطابقة مع مقتضيات الواقع والعقل "فجعل للدهر أخدعًا ويدًا تقطع من الزند، وكأنه يصرع، وجعله يشدق بالكلام.... والليالي كأنها عوارك والزمان كأنه صب عليه ماء، والغرس كأنه ابن الصباح الأبلق، وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والغثاثة والبعد عن الصواب".

الصورة الثالثة: مقاييس الأسلوب:

استخدم خطاب البيان هذا المقياس للتمييز بين حسن الرصف وسوئه، إذ "ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقًا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطواره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها، فإنّ تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام، ولا يكون ما بين ذلك حشوٌ يستغنى عنه ويتم الكلام دونه" [٢]. لأن "حسن التأليف يزيد المعنى وضوحًا وشرحًا، ومع سوء التأليف، ورداءة الرصف، والتركيب شعبة من التعمية"[٣].

---

[١] الجرجاني، القاضي ، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق أحمد عارف الشريف، مطبعة العرفان، ١٣٣١هـ، ص ٦٨.
[٢] العسكري، أبو هلال، السابق، ص ١٤٧، ١٤٨.
[٣] العسكري، أبو هلال، السابق، ص ١٦٧.

ISSN:2536-9245

المطلب الثاني

جوهر الظاهرة البلاغية في نظرية البيان

يعتمد جوهر الظاهرة البلاغية عند الجاحظ على قاعدة المطابقة للمقام بهدف الوصول بالكلام إلى مرحلة البيان، وتغلب على قضية المقام في خطاب البيان النزعة الخطابية المرتبطة بمقامات الخطابة، وقد استعمل الجاحظ مفهوم الموقف والمقام بمعنىً واحد، يقول: "فأمّا الخُطَب بين السِّماطَين، وفي إصلاح ذاتِ البَين، فالإكثارُ في غير خَطَل، والإطالةُ في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمِعْتَ صدْرَه عرَفْتَ قافيتَه"(١).

وكان ابن المقفع قد سبق الجاحظ إلى مثل ذلك في بعض إشاراته مثل قوله: "إذا أعطَيْتَ كلَّ مَقامٍ حَقَّه، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ؛ فإنّه لا يرضيهما شيء"(٢). وما يلفت النظر في كلام ابن المقفع أن قضية المقام قد نشأت مرتبطةً بقضية الخطابة على تنوعها واختلافها، ومن ثم كانت قضية المقام رهينة هذا التنوع الخطابي مما دشَّن فكرتين جديرتين بالذكر:

الأولى: اختلاف القول باختلاف المقام، وقد أشار ابن المقفع إلى ذلك في قوله: " فرقٍ بين صدر خطبة النكاح..... إلخ.

الثانية: أن المقام بوصفه مبدأ نظريًا؛ أي قاعدة بيانية، أو بوصفه حقيقة فعلية، أي موقف باصطلاح ابن المقفع، يحتاج – ليظهر بيانه – لما أسماه "سياسة المقام" حيث يقوم على أساس هذه السياسة تحديد البعد البلاغي " = البياني" للقول الخطابي بارتباطه بمقام التلفظ به، وفي كلِ بيان؛ أي في حالتي تنوع القول بتنوع المقام، وسياسة المقام، بيانُ (٣).

إن محاولة التوفيق بين النصين السابقين تبدو ظاهرة جليةً، فالنصان يؤسسان لقاعدتين بلاغيتين تمثلان أساس مطابقة الكلام للمقام وهما:

تحديد بلاغة الكلام بربطه بمقام التلفظ وهو ما أسماه ابن المقفع "سياسة المقام".

---

(١) المرجع السابق، ١/ ١١٤.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، السابق، ١/١١٤.
(٣) العمري، محمد ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ٥٩.

تنوع طرق التعبير بتنوع المقامات، وهو ما أسماه ابن قتيبة "العناية بالكلام على حسب الحالة".

وقد قام بإرساء دعائم هذه القاعدة بشر بن المعتمر في قوله: "والمعنى ليس يشرفُ بأن يكونَ من معاني الخاصَّة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكونَ من معاني العامَّة، وإنّما مَدارُ الشّرَف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافَقَة الحال، وما يجب لكلّ مَقامٍ من المقال"[١]. فخصوصية المعنى تعود إلى ارتباطه بمقامه وموافقته للحال، وعندها تتحقق للكلام وظيفته البيانية المتمثلة في الصواب "إحراز المنفعة من المتلقي" فلا فائدة في كون المعنى من معاني الخاصة أو معاني العامة، إذ المهم هو موافقته لأحوال الطبقتين "ومتى سمعتَ – حفِظك اللَّه – بنادرةٍ من كلام الأعراب، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارِجِ ألفاظها؛ فإنَّك إنْ غيَّرتَها بأن تلحَنَ في إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديّين، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك فضلٌ كبير، وكذلك إذا سمِعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ، ومُلْحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام، فإيَّاكَ وأن تستعمِلَ فيها الإعراب، أو تتخيَّرَ لها لفظًا حسنًا، أو تجعل لها مِن فيك مخرجًا سَرِيًّا؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها، ويُخرجها من صورتها، ومِن الذي أُرِيدَت له، ويُذهب استطابَتهم إياها واستملاحَهم لها"[٢]. وبهذا المثال تتأسس المقولة الشهيرة "لكل مقام مقال" والعبرة ليس بنوع المقال، وإنما بدرجة موافقته للمقام المناسب له "فإن كان الخطيبُ متكلِّمًا تجنَّبَ ألفاظ المتكلِّمين، كما أنّه إنْ عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفًا أو مجيبًا أو سائلًا، كان أولى الألفاظ به ألفاظَ المتكلمين؛ إذْ كانوا لتلك العبارات أفهَمَ، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحنَّ وبها أشغَف"[٣].

إن ارتباط المقال بمقامه المختص به يتجاوز بالكلام مجرد الإفهام إلى الإقناع والإمتاع، وهي غاية البعد البلاغي للقول في خطاب البيان، ولا شك في أن الوظائف الثلاث التي تحددت بها بلاغة القول هي ألصق بالنص الخطابي الذي يحقق التأثير المطلوب في الملتقى بإفهامه، ثم إقناعه، ثم إمتاعه [٤].

---

[١] الجاحظ، البيان والتبيين، السابق، ١/ ١٢٩.
[٢] الجاحظ، البيان والتبيين، السابق، ١/ ١٣٦.
[٣] المرجع السابق، ١/ ١٣١.
[٤] محمد العمري، السابق، ص ٦١.

ISSN:2536-9245

أما النتيجة المترتبة على هذا الاتجاه في تحديد بلاغة القول، فهي أن بلاغة المقال سوف تختلف باختلاف مدى الملاءمة والمطابقة مع المقام، بمعنى أن الظاهرة تكون بلاغية في مقام، ولا تحمل أي بعدٍ بلاغي في مقام آخر؛ نظرًا لعدم وجود الملاءمة المقامية، وهذا يعني كما يقول حمادي صمود: "إن ربط بلاغة المقال بالمقام يعني أن بلاغة المقال بلاغة نسبية تختلف باختلاف درجات الملاءمة والمطابقة، ومن ثم فإن قيمتها ليست قيمة مجردة يمكن ضبطها في قوائم تصلح لكل موضع وحال"[١].

المبحث الثاني

منهج الخطاب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (نظرية النظم)

لقد صاغ عبد القاهر الجرجاني "الخطاب البلاغي" صياغة جديدة، متخذًا في ذلك من مفهوم النظم، وتأسيسه على معاني النحو والوظائف النحوية المكونة لبلاغة التركيب، والمحققة للمقاصد الدلالية والبلاغية منطلقا لتدشين منهجه التحليلي الوصفي في دراسة الظاهرة البلاغية.

مدخل: مفهوم النظم عند عبد القاهر

يقوم مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني على معاني النحو التي هي باختصار معاني الأبواب النحوية المشكلة لأبواب علم النحو، التي تؤدي وظائف نحوية متنوعة، يقول: " مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادًا بعدها "[٢].

وقد أتاحت هذه الخطوة لعبد القاهر أن يكشف عما يمكن تسميته "النظم المخصوص" الذي يحكم بانتفاء أية خصوصية أو إفادة للألفاظ المفردة المعزولة عن نظمها المخصوص، يقول: "والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عَدًّا كيف جاء واتَّفق، وأبطلت نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنَسَقِه المخصوص أبان

---

[١] حمادي صمود، السابق، ص ٢١٥.
[٢] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، ٢٠٠٤م، ص ٨٧.

ISSN:2536-9245

المراد، نحو أن تقول في: "قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ ومنزل" منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهَذَيان" [١].

وهذا النص من وجهة نظر الباحثة يلخص مفهوم النظم في:

-انتفاء الإفادة عن الألفاظ المفردة في النظم، لأنها حينئذٍ ستكون بابًا نحويًا مجردًا لا يحمل وظيفة نحوية في سياق " الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ "[٢].

-المعنى يكمن في التعليق بين وظائف التركيب النحوية، لا في الوظيفة النحوية ذاتها.

المطلب الأول

المنهج التحليلي في ضوء مفهوم النظم

مقومات المنهج التحليلي لخطاب نظرية النظم البلاغي

أولاً: بلاغة التركيب:

ينطلق عبد القاهر من قاعدة أساسية يقول فيها صراحةً: "والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب"[٣].

وهذا التأليف يحدث بما يحمله اللفظ من معنى نحوى "وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضًا من غير أن تتوخي فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئًا تدعى به مؤلفًا"[٤].

ولما كان المعنى النحوي وحده لا قيمة له، فإن دخوله البلاغة يتم بالتعلق بينه وبين غيره في نظم يحتويهما، وهذا النظم يحمل عندئذٍ البعد البلاغي "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم/٤]. إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم نوجب

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قراءة، تحقيق محمود أحمد شاكر، دار المدني جدة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٤٥.
[٢] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، السابق، ص ٤٦.
[٣] الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، السابق، ص ٤.
[٤] الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، السابق، ص ٣٧٠-٣٧١.

ISSN:2536-9245

تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولًا بها الرأس معرفًا بالألف واللام، ومقرونًا إليها الشيب منكرًا منصوبًا"[١].

ويفصل هذه العبارة في سياق آخر بقوله: "وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها. وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية في مؤداها؟"[٢]. فهو يرد نعوت الحسن والتمكن والقبول، والقبح والنبوِ والقلق إلى النظم، فيكون التفاضل بين المستويين إنما يعود إلى نظم كل منهما، ويقدم الشواهد على ذلك مباشرةً، ويصدِّرها بقوله: "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر"[٣].

كلفظ الأخدع في بيت الحماسة:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتًا وأخدعا

وبيت البحتري:

وإني وإن بلغتني شرف الغنى ... وأعتقت من رق المطامع أخدعي

"فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن. ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ... أضججت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، والإيناس والبهجة"[٤].

ثانيًا: اختلاف المعنى باختلاف النظم

ويمكن تقسيم اختلاف صور المعنى على مستوى النظم على النحو الآتي:

أ- التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، وهي القاعدة التي يسميها عبد القاهر "اختلاف العبارتين على المعنى الواحد"[٥]. والمقصود بالمعنى الواحد "الغرض"

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٢.
(٢) السابق، ص ٤٤-٤٥.
(٣) السابق، ص ٤٦.
(٤) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٤٧.
(٥) المرجع السابق، ص ٤٨٩.

يقول عبد القاهر: "إن قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه"[١]. وللنظم المخصوص عند عبد القاهر دلالة مخصوصة مغايرة عن الغرض الأصلي، وهذا النظم المخصوص هو الذي يختص بنعت البلاغة [٢]. فيكون لكل نظم خصوصية ما؛ ومن ثم يكون له معنى مختلف عن الآخر، وهنا يقع التفاضل بين العبارتين، أي بين نظمين مخصوصين على غرض واحد، ولكن يحملان دلالتي نظم تختلف إحداهما عن الأخرى وفقًا لخصوصية النظم "لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها. فإن قلت: فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان عن معنيين اثنين"[٣].

إن المعنى عندما يكون بمعنى الغرض، فليست الصورة التعبيرية التي يعبر بها عن الغرض في أكثر من نظم بمعنى واحد، وإنما يختلف معنى النظم مع كل صورة، ويقدم شاهدًا قرآنيًا على ذلك في قوله: " وحتى لا يجعلوا للمعنى في قوله تعالى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} [البقرة/٩٣]. مزية على أن يقال: اشتدت محبتهم للعجل، وغلبت على قلوبهم. وأن تكون صورة المعنى في قوله عز وجل: {واشتعل الرأس شيبًا} صورته في قول من يقول: وشاب رأسي كله، وابيض رأسي كله. وحتى لا يروا فرقًا بين قوله تعالى: {فما ربحت تجارتهم} وبين: فما ربحوا في تجارتهم" [٤].

ب- التغيير في النظم تغيير في المعنى، والحديث في هذه القاعدة يتناول التعبير بصور مختلفة عن معانٍ مختلفة، وهذا يعني أن لكل صورة تعبيرية معنى خاصًا لا يشاركه فيها غيره، وهو ما يمكن أن يسمى "معنى النظم"، ومعنى النظم الخاص الذي يمتلكه كل نظم هو معتمد المفاضلة[٥]، وباعتماد معنى النظم سببا للمفاضلة بين نظم ونظم، فإن أي تغير في النظم يعقبه تغير في معنى ذلك النظم، وليس المقصود هنا الغرض، وإنما المعنى الذي يحمل النظم المخصوص "فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذٍ من أن يتغير المعنى"[٦].

---

[١] السابق، ص ٨٨.
[٢] بودخة، مسعود، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٢٩.
[٣] الجرجاني، عبد القاهر دلائل الإعجاز، السابق، ص ٢٥٨.
[٤] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، السابق ، ص ٢٥٨.
[٥] بودخة، ،مسعود نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ٣٨.
[٦] الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، السابق، ص ٢٦٥.

ISSN:2536-9245

والمقصود بتغيير اللفظ هنا تغير النظم بتغير الوظائف النحوية لألفاظه، فليس اللفظ هو الذي يتغير وإنما يقع التغيير على معناه، والمقصود بمعناه وظيفته النحوية، وذلك كالمقارنة التي عقدها بين نظم الآية "فما ربحت تجارتهم ونظم "فما ربحوا في تجارتهم" "ومثله في العجب أنه ينظر إلى قوله تعالى: "فما ربحت تجارتهم"، فيرى إعراب الاسم الذي هو التجارة قد تغير فصار مرفوعًا بعد أن كان مجرورًا. ويرى أنه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه، وهو الواو في ربحوا و(في) من قولنا: في تجارتهم. ثم لا نعلم أن ذلك يقتضي أن يكون المعنى قد تغير كما تغير اللفظ"[١]. فالاعتبار بالوظيفة النحوية التي يؤديها اللفظ بتضامه مع وظيفة نحوية أخرى يؤديها اللفظ المتضام معه.

ج- الزيادة في النظم تغيير في المعنى، يكشف عبد القاهر من خلال هذه القاعدة عن أن الجملة ذات معنى واحد مترابط على مستوى النحو والدلالة، فإن "واضع الكلام مثل من يأخذ قطعًا من الذهب أو الفضة، فيذيب بعضه في بعض حتى تصير قطعة واحدة".

وبناء على ذلك فسر ما يسميه بالبناء على الجملة من حيث الترابط بين ألفاظها بواسطة الوظائف النحوية في السياق، وشاهده قول الفرزدق:

وما حملت أم امرئ في ضلوعها ... أعق من الجاني عليها هجائيا

"فلولا أن معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئًا غير الذي كان ويتغير في ذاته، لكان محالًا أن يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية"[٢]. ثم يبين العلاقات النحوية التي تقوم بتلك الزيادة في النظم "من حكم كل ما عدا جزئي الجملة الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر أن يكون تحقيقًا للمعنى المثبت والمنفي. فقوله: في ضلوعها، يفيد أولًا أنه لم يرد الحمل على الإطلاق، ولكن الحمل في الضلوع. وقوله: أعق، يفيد أنه لم يرد هذا الحمل الذي هو حمل في الضلوع أيضًا على الإطلاق، ولكن حملًا في الضلوع محموله أعق من الجاني عليها هجاءه. وإذا كان ذلك كله تخصيصًا للحمل لم يتصور أن يعقل من دون أن يعقل نفي الحمل"[٣]. ولذلك نستنتج أن معنى الترابط بين الوظائف النحوية يعني تضامها لتشكل مجموعًا من العلاقات السياقية التي تعبر عن دلالة واحدة.

---

[١] الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، السابق، ص ٤٢٩.
[٢] المرجع السابق، ص ٥٣٤.
[٣] السابق، ص ٥٤٤.

ISSN:2536-9245

المطلب الثاني

جوهر الظاهرة البلاغية في نظرية النظم

يعد مفهوم "معنى المعنى" هو التفسير الذي قدمه عبد القاهر معبرًا عن الآلية الاستدلالية لتجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى البلاغي. يقول: " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلًا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل... أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيًا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف..."[١].

فالكلام نوعان: نوع يدل دلالة حقيقية على الغرض بطريقة مباشرة. ونوع يحتاج في الوصول إلى الغرض إلى معنى آخر يتوصل به إلى الغرض. وطريق المعنى الثاني لا يكون إلا من خلال آلية للاستدلال لتأويل المعنى الثاني، ولقد جعل عبد القاهر جوهر الظاهرة البلاغية في عملية الاستدلال ذاتها، تلك العملية التي تؤدي بالمعنى الأول لأن يدل على المعنى الثاني، وإذا كان من المعلوم أن ذلك الاستدلال لا يتم تلقائيًا، وإنما بمساعدة السياق وقرائن الأحوال، فإن النتيجة ستجعل البعد البلاغي هو مطابقة المعنى للمقام والسياق، وبذلك تدخل الظاهرة البلاغية في فكرة الملاءمة السياقية. وتصير الظاهرة البلاغية فعلًا إنجازيًا يقوم به المتكلم ويفسره المتلقي؛ وكلاهما فعل استدلالي يقوم به الطرفان مع اللغة وسياقات استعمالها، ومن ثم تكون البلاغة هي في الطابع الاستدلالي الذي عليه الأسلوب اللغوي. "إن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز في الكلام العربي المبين كامنة في كون الأساليب البلاغية العربية تجعل المخاطب أو المتلقي يساهم في إنتاج المعنى المقصود بواسطة عملية استدلالية ينتقل فيها من خلال اللفظ،

---

[١] الجرجاني، ،عبد القاهر دلائل الإعجاز، السابق، ص ٢٦٢.

ومعناه المتعارف عليه إلى المعنى الذي يقصده المتكلم"[١]. وبذلك أصبحت الظاهرة البلاغية رهينة الإدراك العقلي والجمالي من قبل المتلقي لها، إدراكًا لا يختصر في فهمها واستيعابها والكشف عنها فحسب، وإنما يضاف إلى ذلك المساهمة في إنتاج دلالتها.

وهذا يعني أنه يعد دخول المتلقي كأساس في عمل الظاهرة البلاغية وماهيتها، مما سيفيد في التعامل مع الظاهرة عند تحليلها، فيظهر فيها الكثير مما خفي باستخدام آليات تحليلية متنوعة، يقول عبد القاهر: "إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئًا، أو تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير "[٢].

المبحث الثالث

منهج الخطاب البلاغي عند السكاكي (علم البلاغة)

إن المتأمل في الخطاب الذي أنجزه السكاكي لعلم البلاغة يدرك أنه كانت تحركه نزعة منطقية في إخضاع البلاغة لمقولات المنطق وأحكامه والإفادة من منهجه العلمي الدقيق؛ مما عمل على تقييد الفنون البلاغية تقييدا صارمًا، قد ينفر منه الأداء الفعلي للكلام بحكم طبيعته الفنية الجمالية [٣].

مدخل: مفهوم علم البلاغة عند السكاكي

لم يستعمل السكاكي عبارة علم البلاغة وإنما استعمل مصطلحين؛ علم الأدب [٤] و "صناعة البلاغة"[٥]. وكان المقصد هو إنشاء خطاب بمعنى العلم المضبوط المنظم، وهدفه تعليمي بالدرجة الأولى، والسبب في ذلك كما صرح السكاكي أنه "مع ما لهذا العلم من الشرف الظاهر والفضل الباهر لا ترى علمًا لقي من الضيم ما لقي ولا مني من سوم الخسف بما مني، أين الذي مهد له قواعد ورتب له شواهد وبين له حدودًا يرجع إليها وعين له رسومًا يعرج عليها، ووضع له أصولًا وقوانين، وجمع له حججًا وبراهين، وشمر لضبط متفرقاته ذيله"[٦] والسكاكي هنا لا يقيم علاقة واضحة بين الفصاحة والبلاغة،

---

[١] الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، السابق، ص ٨٩.
[٢] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، السابق، ص ٣٧٤.
[٣] مطلوب ، أحمد ، البلاغة عند السكاكي، منشورات مكتبة النهضة ببغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، ص٣٧.
[٤] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧.
[٥] السابق، ص ١٦١.
[٦] السابق، ص ٤٢٢.

فحديثه هنا عن البلاغة جاء في سياق حديثه عن الفصاحة أساسا؛ أي فصاحة المعنى واللفظ... إلخ، ذلك أن تصريح السكاكي بالضيم الذي أصاب علم البلاغة من افتقاره إلى التحديد والتقسيم والتقعيد يرجح القول بأن الفصاحة والبلاغة عنده بمعنى واحد.

كما يفهم من النص أن السكاكي يرى أن العلماء السابقين قد أهملوا ضبط الظواهر البلاغية، وجمع مصطلحاتها وتصنيفها، مما يحتاج إلى حدود علمية وقوانين وقواعد منظمة.

المطلب الأول

المنهج التقعيدي في ضوء علم البلاغة

قام المنهج التقعيدي في خطاب علم البلاغة عند السكاكي على تقسيم البلاغة إلى ثلاثة علوم، على النحو الآتي:

أولا: علم المعاني

يعرف السكاكي علم المعاني بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[١]. ويختص علم المعاني بتتبع خواص تراكيب الكلام "وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريًا مجرى اللازم له لكونه صادرًا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو أو لازمًا له هو هو حينًا"[٢]. وهذا يعني كما تلحظ الباحثة أن السكاكي يتعامل في خواص التراكيب مع ما يلزمها من فهم، أي أنه يتجاوز التركيب من حيث فائدته النحوية إلى ما يلزمه من معنى، وهذا المعنى هو خاصية هذا التركيب "وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إن زيدًا منطلق. إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودًا به نفي الشك أو رد الإنكار أو من تركيب: زيد منطلق. من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو: منطلق بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها، وكذا إذا لفظ بالمسند إليه، وهكذا إذا عرف أو نكر أو قيد أو أطلق أو قدم أو أخر"[٣]. والمعنى

---

[١] السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص ١٦١.
[٢] المرجع السابق، ص ١٦١.
[٣] السابق، ص ١٦١.

المفهوم من: إن زيدًا منطلق، سواء كان نفيًا للشك أو ردًا للإنكار، يتجاوز مطلق التركيب إلى ما يتمتع به من خصوصية.

وقد جمع السكاكي البنية التفصيلية لعلم المعاني داخل بنية الخبر والطلب، حيث جعل "السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب"(١).

ويقدم القزويني التصنيف النحوي لظواهر علم المعاني – وهو التصنيف المعمول به حتى الآن – وحصره في ثمانية أبواب: "الإسناد الخبرى – المسند إليه – المسند – متعلقات الفعل – القصر – الإنشاء – الفصل والوصل – الإيجاز والإطناب والمساواة"(٢). وهذا التصنيف يتعامل مع الظواهر البلاغية بوصفها ظواهر نحوية، أو مباحث نحوية؛ لأنها تعتمد تجريدات الجملة النحوية وأسماءها التي اختارها النحاة تعبيرًا عن مباحثها النحوية، وإن كان تجريد الظواهر اللغوية في قوالب وأنماط فكرية مقبولًا من الناحية العلمية الصناعية، فإن استلهام روح هذا التصنيف في تجريد ظواهر بلاغية في قوالب نحوية كالمسند والمسند إليه.... إلخ ليس مقبولًا على أية حال؛ لأن الظاهرة البلاغية ليست بالثبات الذي ظنه السكاكي والقزويني؛ لأنها دائمة التبدل والتحول، ويلاحظ أن هذا الحصر البلاغي يشير إلى أركان ثلاثة: ما يتعلق بأجزاء الجملة؛ كالتنكير والتعريف والحذف... – ما يتعلق بالجملتين فصاعدًا كأبواب الفصل والوصل.... – ما لا يختص بشيء من ذلك، بل يتعلق بهما معًا كالإيجاز والإطناب...(٣).

ثانيًا: علم البيان

يعرف السكاكي علم البيان بأنه "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"(٤).

والمطابقة في علم البيان هي مطابقة دلالية، وهو ما جعل السكاكي يعتمد المقدمة المنطقية لتوضيح أنواع الدلالات التي يعتمد عليها علم البيان أصلًا لهذه المطابقة، حيث فرق بين أنواع ثلاثة من الدلالات "الوضعية – التضمنية – الالتزامية". ويعرضها السكاكي كالآتي:

---

(١) مطلوب، أحمد، البلاغة عند السكاكي، السابق، ص ٢٣.
(٢) القزوينى، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٦م، ص٣٨.
(٣) الخولي، أمين فن القول، دار الكتب المصرية، القاهر، د. ط، ١٩٩٦م، ص ٨٠.
(٤) السكاكي، السابق، ص١٦٢.

الدلالة الوضعية: "اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية".

الدلالة التضمنية: "ومتى كان لمفهومها ذلك ولنسمه أصليًا تعلق بمفهوم آخر أمكن أن تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلًا في مفهومها الأصلي كالسقف مثلا في مفهوم البيت ويسمى هذا دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضًا".

الدلالة الالتزامية: "أو خارجًا عنه، كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام، ودلالة عقلية أيضًا"[١].

إن التفاوت في الفهم الذي يعقبه تفاوت في وضوح الدلالة وخفائها، لا يكون إلا بالدلالات العقلية، وهذا معتمده في إدراك العلاقات بين الأشياء بمنطق العقل والمنطق، أي في آلية التلازم بين اللازم والملزوم، وهما طرفا التلازم المنطقي بين الأشياء "وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني"[٢]. والتلازم كآلية منطقية لإدراك العقل للترابط والعلاقة بين الأشياء، يفهم على الصورالآتية: "إذا عرفت أن اللزوم إذا تصور بين الشيئين فإما أن يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل أو بين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد أو من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل أو بين الأسد والجراءة بحكم الاعتقاد"[٣]. فإذا كانت تلك هي صور آلية التلازم المنطقي الذهني للعلاقة بين الأشياء فإن مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين "جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم، وجهة الانتقال من لازم إلى ملزوم"[٤].

ثم تصنف ظواهر العلم وفق هاتين الجهتين باعتماد الانتقال بين طرفي التلازم "فإن المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم كما تقول: رعينا غيثًا، والمراد لازمه وهو النبت... وأن الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم؛ كما تقول: فلان طويل النجاد، والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد، فلا يصار إلى جعل النجاد طويلًا أو

---

[١] السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص٣٢٩-٣٣٠.
[٢] المرجع السابق، ص٣٣٠.
[٣] السابق، ص ٣٣٠.
[٤] الخولي، ، أمين ، السابق، ص ٧٩.

ISSN:2536-9245

قصيرًا إلا لكون القامة طويلة أو قصيرة، فلا علينا أن نتخذهما أصلين، وإذ لا يخفى أن طريق الانتقال من الملزوم إلى اللازم طريق واضح بنفسه، ووضوح طريق الانتقال من اللازم إلى الملزوم إنما هو بالغير، وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم أو أخص منه، فلا عتب في تأخير الكناية؛ لكونها بالنظر إلى هذه الجهة نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد. ثم إن من المجاز أعني الاستعارة من حيث إنها من فروع التشبيه كما ستقف عليه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه، فلا بد من أن نأخذه أصلًا ثالثا ونقدمه، فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني"[١].

ثالثًا: علم البديع

يعرف علم البديع بأنه: علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[٢]. والإشكال في علم البديع هو أنه يعتمد النظرة التجزيئية للظواهر البلاغية، لتقتنص صورة جزئية في النص، لتعطيها قيمة بلاغية، ثم تبحث لها عن اصطلاح فتسميها به "وهذه النظرة، نظرة التجزئة، والرغبة في فصل مكونات التعبير اللغوي بعضها عن بعض، أفضت إلى شئ من السطحية والآلية في التناول"[٣].

وتكمن تلك السطحية في المعالجة البلاغية أنها تفكك ما هو منسجم، إلى أجزاء وقطع، فيكون كل جزء وقطعة حاملة لبعد جمالي من نوع ما، وحاملة لمفهوم معين، وقد أدى هذا الأمر من وجهة نظر الدكتور رجاء عيد إلى " التعمل والتمحل في خلق ألوان بديعية لا تستحق التقدير؛ مما فتح السبيل لتفتيت العمل الفني"[٤].

---

[١] السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص٣٣١.
[٢] القزويني ، الخطيب ، السابق، ص ٢٥٥.
[٣] السيد ، شفيع ، البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٢٠٠.
[٤] عيد ، رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، د.ت، ص ٢٩.

ISSN:2536-9245

المطلب الثاني

جوهر الظاهرة البلاغية في علوم البلاغة

يعتمد جوهر الظاهرة البلاغية في خطاب علم البلاغة عند السكاكي على القواعد الآتية:

١-قاعدة مقتضى الحال

يتناول السكاكي مفهوم "مقتضى الحال" في قوله: "وارتفاع الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه "مقتضى الحال"[١]. والتعريف يشير إلى أن بلاغة الكلام هي مطابقته لما يليق به، والذي يليق بهذا الكلام هو مقتضى الحال، أي أن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال، وهو الفهم الذي فهمه القزويني فيما بعد فعرَّف البلاغة بهذا التعريف مع إضافة قيد الفصاحة الذي يشير إلى علم البيان كما يفهم من ارتباطه بالخلو من التعقيد المعنوي الذي يعني فصاحة الكلام، يقول في تعريف البلاغة: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[٢]. وهكذا تشير المطابقة مع مقتضى الحال إلى تعريف علم المعاني، وتشير الفصاحة إلى علم البيان.

إن المقتضى الذي أضافه السكاكي إلى الحال هو العلة الداعية إلى صياغة التراكيب بخواص معينة "فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم. وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريًا عن ذكره وإن كان المقتضى إثباته مخصصًا بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها..."[٣].

وبتأمل النصوص السابقة يظهر للباحثة أن لهذه القاعدة ثلاثة أركان رئيسية:

"مقتضى الحال – الاعتبار المناسب – المطابقة".

---

[١] السكاكي، السابق، ص ١٦٨، ١٦٩.
[٢] القزويني، الخطيب السابق، ص ٣١.
[٣] السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص ١٦٩.

- "مقتضى الحال ومطابقة الاعتبار المناسب".

وهذا يعني أن أركان بلاغة التركيب هي:

الحال: وهو أمر خارجي يترادف حينًا مع مفهوم المقام، ويحتفظ حينًا بمعنى مستقل عنه.

مقتضى الحال: وهو العملية المعنوية العقلية النفسية التي يستدعيها الحال، وهي ليست باللفظ المنطوق ولا بالحال الخارجية، وإنما هي معنىً عقلي يعبر عن الحال الخارجية ويستدعي منطوقًا، وهذا المعنى العقلي هو المعبر عن الكيفية المخصوصة التي تظهر نطقًا في الصياغة التعبيرية.

الكلام: وهو اللفظ المنطوق على إثر الكيفية المخصوصة التي جاء بها المقتضى، وهو في ذاته لا قيمة له، إذ إنه بذاته مجرد جملة نحوية صمَّاء، وإنما تكمن قيمته في كونه الصورة اللفظية النحوية للمقتضى المستدعي له، وقد فهم التفتازاني هذا الأمر حق الفهم فعبَّر عنه قائلًا: "والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من التقديم والإثبات والحذف وغير ذلك، ومقتضى الحال في التحقيق الكلام الكلي المتكيف بكيفية مخصوصة، لا نفس الكيفيات من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير"[١].

٢-قاعدة العدول عن الأصل

بنى السكاكي تفسيره للظاهرة البلاغية على ركنين أساسيين:

الأول: التمييز بين نوعين من التراكيب: تراكيب مفيدة إفادة صريحة، ولا تتجاوز المعنى الحرفي للتركيب، ونوع يتجاوز هذه الإفادة إلى تتبع خواص هذه التراكيب في الاستحسان وغيره.

الثاني: دخول التركيب البلاغة؛ سواء في علم المعاني أم علم البيان، لا بد فيه من اعتبار أصله التركيبي الذي تحول عنه إلى التركيب البلاغي.

وهذا يعني أن ماهية الظاهرة البلاغية في التراكيب اللغوية يعتمد على آلية "التجاوز والتحول" من الأصل. وهو يصرح بهذا قائلًا: "إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار ثم

---

[١] مطلوب، ، أحمد البلاغة عند السكاكي، السابق، ص ٤٩.

ISSN:2536-9245

حمل ما عدا ذلك عليه شيئًا فشيئًا على موجب المساق"[١]. إن تتبع خواص التراكيب – وهي مهمة علم المعاني – تقتضي التعرض إلى الأصول المجردة التي اعتمدها النحاة دلالةً على الأنماط الأصلية للكلام العربي؛ ليكون كل تركيب منزَّلًا تحت نمطٍ مجردٍ من تلك الأنماط، أي مشكَّل على صورته المجردة، ويهدف السكاكي إلى دراسة هذه الخواص بتنزيلها داخل هذه الأنماط المفترضة، ثم يقوم بضبطها في تقسيمات وتصنيفات وقواعد تؤسس لبنية علم المعاني.

وباعتماد قانون التحول استطاع السكاكي أن يفرق بين علم النحو وعلم المعاني، من بناء الأول على المباني وبناء الثاني على المعاني، فيكون تغير المباني في علم النحو يعني وجود أصول نمطية متعددة للتركيب، بينما يختلف الأمر في علم المعاني حيث إن تغير المباني يعني تغير المعاني مع كل مبنى، وهو الأمر الذي لاحظه الدكتور تمام حسان قائلًا: "فالنحو يجعل نقطة البداية هي المباني، وينطلق منها للوصول إلى غايته من المعاني... أما علم المعاني – لاحظ دلالة التسمية – فربما اتجه اتجاهًا معاكسًا لاتجاه النحو فبدأ من منطلق المعنى باحثًا له عن المبنى"[٢].

وترى الباحثة أن ظواهر علم المعاني هي ظواهر متحولة عن أصول النحو النمطية، وهي بذلك تتبع المقتضيات الداعية إلى الزيادة على التراكيب ذات الدلالات الوضعية التي ينتظمها المعنى الأصلي كما تجرده أصول النحو، وعلة ذلك أن المقتضيات لا تتمايز مع الدلالات الوضعية، إذ إن التراكيب المجردة لا تمايز فيها أو بينها؛ لأنها أنماط مجردة تصاغ – بالبناء عليها – التراكيب التي يظهر فيها هذا التمايز باعتماد المقتضيات السياقية.

وقد اعتمد هذا القانون أيضا في تفسير ظواهر علم البيان، وقد أسس السكاكي لهذه العملية من خلال تحليله لقوله تعالى: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} مريم: ٤، وهو يرتب درجات الكلام البليغ المتحولة عن الأصل على النحو التالي:

–النموذج الأصل: "لا شبهة أن أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى: يا ربي قد شخت فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما".

---

[١] السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص ١٦٣، ١٦٤.
[٢] حسان، تمام ، الأصول دراسة إبيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٤٤.

-المرتبة الثانية: "تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها في ضعف بدني وشاب رأسي".

-المرتبة الثالثة: ثم تركت هذه المرتبة الثانية لاشتمالها على التصريح إلى ثالثة أبلغ وهي الكناية في: وهنت عظام بدني لما ستعرف أن الكناية أبلغ من التصريح".

-المرتبة الرابعة: "ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ في التقرير بنيت الكناية على المبتدأ فحصل: أنا وهنت عظام بدني".

-المرتبة الخامسة: "ثم لقصد خامسة أبلغ أدخلت إن على المبتدأ فحصل: إني وهنت عظام بدني".

-المرتبة السادسة: ثم لطلب تقرير أن الواهن هي عظام بدنه قصدت مرتبة سادسة، وفي سلوك طريقي الإجمال والتفصيل فحصل إني وهنت العظام من بدني، والذي سبق في تقرير معنى الإجمال والتفصيل في {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه/٢٥]. ينبه عليه ههنا".

-المرتبة السابعة: "ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن فحصل: إني وهنت العظام مني".

-المرتبة الثامنة: "ثم لطلب شمول الوهن العظام فردًا فردا قصدت مرتبة ثامنة، وهي ترك جمع العظم على الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد فحصل ما ترى وهو الذي في الآية "إني وهن العظم مني"[(١)].

وتستنتج الباحثة من هذا التحليل أن حقيقة الصورة البلاغية التي عليها الآية الكريمة إنما تتحدد بقياس درجة تجاوزها، ولذلك بنى السكاكي فكرة التحول عن الأصل على هذه الصور البيانية مشكِّلًا بها علم البيان وأبوابه.

الخاتمة

إن الحديث عن البلاغة يقود إلى تناول المناهج التي اتبعها البلاغيون القدماء في بحثهم حول جوهر الظاهرة البلاغية، ووصفها وتحليلها، وهذا يدعو إلى أن تنبني هذه الدراسة على تناول الخطاب البلاغي العربي من خلال أبرز أنواع المنهجيات التي قامت بوصف الظاهرة البلاغية وتأصيلها، وقد قسمها البحث إلى ثلاثة أنواع، هي:

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم، السابق، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

خطاب البيان عند الجاحظ- خطاب النظم عند عبد القاهر الجرجاني- خطاب تقعيد البلاغة عند السكاكي.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

١. رأت الدراسة أن أنماط الخطاب البلاغي التي تمثل محاور البلاغة العربية، هي: خطاب البيان، وخطاب النظم، وخطاب علم البلاغة.

٢. اعتمد خطاب الجاحظ القائم على مفهوم البيان على منهج انطباعي ذاتي، يستند إلى ترسيخ آليات حسية تعتمد على الرؤية والسماع في التعامل مع القول البليغ وإدراك أبعاده، فيعد ما هو بلاغي من القول ما يرتضيه السماع والعين، بشكل تتوارى معه وسائل التناول العقلي التأويلية؛ مما يؤدي إلى انحصار البعد البلاغي للقول في هذه الجوانب الحسية؛ بما يجعله سهل التناول والوضوح، دون الرصد العقلي التأويلي، وما يستتبعه من غموض وإبهام.

٣. إن الأحكام الصادرة عن خطاب البيان تتلخص في وسم الكلام بأنه: حسن وأحسن، واضعةً في اعتبارها تميزه عمَّا هو قبيح وأقبح، وقد نتج عن هذا أن غاب عن خطاب البيان التبويب والتقسيم والترتيب المحدد لدرجات الحسن أو درجات القبح، ناهيك عن عدم تمييز بعض الوجوه البلاغية بعضها عن بعض؛ لأن الأهم كان هو حملها للبعد البلاغي المتمثل في الوصول لدرجة البيان والإبانة، دون اهتمام كبير بتعليل هذا البعد، أو تحديد وظيفته، هذا بالإضافة إلى أن أحكام خطاب البيان كانت شبه نهائية في جودة الجيد وقبح القبيح.

٤. لقد صاغ عبد القاهر الجرجاني " الخطاب البلاغي " صياغة جديدة، متخذًا في ذلك من مفهوم النظم، وتأسيسه على معاني النحو والوظائف النحوية المكونة لبلاغة التركيب، والمحققة للمقاصد الدلالية والبلاغية منطلقا لتدشين منهجه التحليلي الوصفي في دراسة الظاهرة البلاغية.

٥. إن خطاب النظم قام بتحويل بلاغة القول من بلاغة بيان تنطبق على اللفظ انطباقها على التركيب بلا تفريق بينهما على صعيد القول البلاغي، إلى بلاغة نظم تنتفي فيه عن الألفاظ المفردة أية بلاغة وتخلص للتركيب فحسب.

٦. جوهر الظاهرة البلاغية في خطاب النظم هو مطابقة المعنى للمقام والسياق، وبذلك تدخل الظاهرة البلاغية في فكرة الملاءمة السياقية. وتصير الظاهرة البلاغية فعلًا إنجازيًا يقوم به المتكلم ويفسره المتلقي؛ وكلاهما فعل استدلالي يقوم به الطرفان مع اللغة وسياقات استعمالها، ومن ثم تكون البلاغة هي في الطابع الاستدلالي الذي عليه الأسلوب اللغوي.

٧. إن المتأمل في الخطاب الذي أنجزه السكاكي لعلم البلاغة يدرك أنه كانت تحركه نزعة منطقية في إخضاع البلاغة لمقولات المنطق وأحكامه والإفادة من منهجه العلمي الدقيق؛ مما عمل على تقييد الفنون البلاغية تقييدا صارمًا، قد ينفر منه الأداء الفعلي للكلام بحكم طبيعته الفنية الجمالية.

٨. يتعامل تصنيف علم المعاني مع الظواهر البلاغية بوصفها ظواهر نحوية، أو مباحث نحوية؛ لأنها تعتمد تجريدات الجملة النحوية وأسماءها التي اختارها النحاة تعبيرًا عن مباحثها النحوية، وإن كان تجريد الظواهر اللغوية في قوالب وأنماط فكرية مقبولًا من الناحية العلمية الصناعية، فإن استلهام روح هذا التصنيف في تجريد ظواهر بلاغية في قوالب نحوية كالمسند والمسند إليه.... إلخ ليس مقبولًا على أية حال؛ لأن الظاهرة البلاغية ليست بالثبات الذي ظنه السكاكي والقزويني ومن لف لفهما؛ لأنها دائمة التبدل والتحول.

٩. إن ظواهر علم المعاني هي ظواهر متحولة عن أصول النحو النمطية، وهي بذلك تتبع المقتضيات الداعية إلى الزيادة على التراكيب ذات الدلالات الوضعية التي ينتظمها المعنى الأصلي كما تجرده أصول النحو، وعلة ذلك أن المقتضيات لا تتمايز مع الدلالات الوضعية، إذ إن التراكيب المجردة لا تمايز فيها أو بينها؛ لأنها أنماط مجردة تصاغ – بالبناء عليها – التراكيب التي يظهر فيها هذا التمايز باعتماد المقتضيات السياقية.

ثانيًا: التوصيات:

١. ضرورة تواصل العمل على الكشف عن جوانب المناهج البلاغية في تأصيل الظاهرة البلاغية وتفسير أبعادها.

ISSN:2536-9245

٢. الاهتمام بأوائل النصوص البلاغية القديمة وربطها بالنصوص المتأخرة، ففي هذا الربط فائدة كبيرة في معرفة مراحل مناهج الخطاب البلاغي العربي القديم.
٣. العمل على تأليف مراجع تتطرق للبلاغة العربية من زوايا وجوانب مختلفة، كي تزيد ثراء البحث العلمي في هذا المجال.
٤. تنظيم ندوات وفعاليات أدبية للتعريف بالبلاغة العربية، وأهم علمائها، وأبرز المؤلفات المؤسسة لها عبر التاريخ.
٥. العمل على مستوى الجامعات العربية على تيسير البلاغة العربية مما أصابها من جمود وعقم، بفعل توغل علوم الفلسفة والمنطق في تفسير فنونها الجمالية المتنوعة.

ISSN:2536-9245

المصادر والمراجع

١. مطلوب، أحمد، البلاغة عند السكاكي، منشورات مكتبة النهضة ببغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٢. الخولي، أمين، فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، ١٩٩٦م.

٣. حسان، تمام، الأصول دراسة إبيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.

٤. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٥. الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٦. صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د. ط، ١٩٨١م.

٧. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٦م.

٨. عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ نشر.

٩. السيد، شفيع، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٩٦م.

١٠. ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، د ت.

١١. ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ط١. ١٩٨٢م.

١٢. بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٣، ١٩٧٧م.

١٣. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمود أحمد شاكر، دار المدني جدة، الطبعة الأولي، ١٩٩١م.

١٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م.

١٥. النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.

١٦. روزنتال، فرانز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٦١م.

١٧. زكريا، فؤاد ، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ١٩٧٨م.
١٨. الجرجاني، القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق أحمد عارف الشريف، مطبعة العرفان، ١٣٣١هـ.
١٩. العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفيقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢٠. صباغ، محمد علي، البلاغة الشعرية كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢١. بودخة، مسعود، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
٢٢. العسكري، أبو هلال، الصناعتين – الكتابة والشعر- دار الفكر العربي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د ت.
٢٣. حريش، نوال، البيان والتبيين للجاحظ، مقاربة جمالية إبيستمولوجية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب واللغات بجامعة وهران بالجزائر، ٢٠٠٩م.
٢٤. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.